مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أهمية العقل البشري في القران الكريم

حيدر خزعل فهد عكاب[1]
[1] وزارة التربية ، مديرية تربية ذي قار
P888p0@gmail.com

ملخص. إن تأكيد القرآن الكريم على أهمية العقل في كثير من الآيات، يبين أن نجاح الإنسان في كل مجالات الحياة لا يكون إلا بعقل واع، قائد، وقد بين القرآن أحكام تصرفات الإنسان من حيث المشروعية وعدم المشروعية على أساس تحويل العقل البشري بالتشريع وتنظيم الحياة، فالقرآن الكريم قانون إلهي، بل هو تعديل لكل القوانين الإلهية السابقة. ومتضمنا أمهات أحكامها وتشريعاتها، مضيفاً لها أحكام تتوافق مع العقل البشري وتتناسب مع نضجه ((ووظيفة القانون: التصميم والتخطيط، وبيان الأسس العامة والقواعد الكلية وتخويل عقل المشرع بتشريع القوانين في ضوء تلك الأسس والقواعد وعدم الخروج عليها. كذلك القرآن دستور إلهي اقتصر على المبادئ العامة، والقواعد الكلية الثابتة، وحول العقل البشري بإرجاع الجزئيات إلى تلك الكليات في كل زمان ومكان في ضوء متطلبات الحياة، ووضع إطار من الأخلاق، وقال للعقل البشري تحرك لإيجاد ما يتقدم به الإنسان، وتتطور به الحياة من الأحسن إلى الأحسن، على أن يكون هذا التحرك داخل هذا الإطار الأخلاقي)). وبعد تقرير هذه المكانة للعقل في القرآن، تأتي مرحلة تفاعل العقل فيه باعتباره فريضه دينية، فإن خطاب القرآن الكريم للعقل على هذا النسق المتدرج يدل على أن إعمال هذا العقل مناط التكليف، لأنه الميزان الذي يوزن به الصواب والخطأ، والحق والباطل، وبه حقق الله الغاية من خلق الإنسان قال تعالى (الرحمن. عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ. خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ. عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ)) فكان إعمال العقل فريضة الفرائض، أي لا تتحقق كل الفرائض إلا بفريضة إعمال العقل بالشكل المطلوب.

العدد الخاص – اب – August / 2024

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

Abstract. The emphasis of the Holy Qur'an on the importance of reason in many verses shows that the success of man in all areas of life can only be achieved through the knowledge and guidance of the Holy Qur'an، and the Qur'an rules on the legality and illegitimacy of human possessions based on the submission of the human mind to legislation and regulation of life. God's law، yes، it is a modification of all the previous divine laws. And it includes the foundations of laws and regulations، including laws that agree with the human mind and are in accordance with maturity (The duty of the law: planning and planning، stating the general principles and general rules، and allowing the rational mind to legislate laws in the light of those bases and rules and not to deviate from them. Also، the Qur'an is a divine command، limited to the general principles. ، and the universal fixed rules، and the human intellect returns the details to those universals in all time and space in the light of the requirements of life، and establishes the framework of ethics، and he said to the human intellect، movement to create us precedes man، and it evolves into life from the best to the best، as long as this movement is Within this framework of ethics)). After discussing this place of reason in the Qur'an، there comes the stage of the interaction of reason in it as a religious obligation. The Holy Quran's address to reason in this gradual way shows that the practice of reason is a duty، because it is the scale that weighs right and wrong، and truth and falsehood، and to the realization of God's end. I am the creator of mankind، the Most High said (Al-Rahman. All-Mighty. All-Mighty. All-Mighty-All-Bayyan)) So the practice of the mind is the duty of the duty، that is، all the duties are not fulfilled except by the duty of the application of the mind in the required form.

مقدمة:

وقد اشتمل البحث على أربعة مباحث، وخاتمة هي:

المبحث الأول: معنى العقل في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: أهمية العقل البشري في القرآن الكريم

المبحث الثالث: أهمية العقل في القرآن والسنة

المبحث الرابع: إشادة القرآن بأهل العقول

المبحث الخامس: العقل مناط التكليف

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

المبحث السادس: خصائص الخطاب العقلي في القرآن الكريم

المطلب السابع: توافق الأحكام الإلهية مع العقل البشري

المبحث الثامن: العقل أحد مصادر التشريع

الخاتمة: وفيها أهمّ نتائج البحث.

والله تعالى أسأل أن يجنّبنا الزلل، وأن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، إنه أهل ذلك والقادر عليه، وهو سبحانه الموفق والهادي إلى سواء السبيل

1 .المبحث الأول: معنى العقل في اللغة والاصطلاح

1.1. معنى العقل في اللغة:

قال ابن فارس: "العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدلّ عُظْمُهُ على حُبْسة في الشيء أو ما يقارب الحُبسة. من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل"(ابن فارس،1979م:ص69) . والمقصود بالحُبسة: المنع، وسمي العقل بذلك لأنه يعقل الإنسان ويمنعه عن التورّط في المهالك، أي يحبسه، كما أنه يمنعه عن ذميم القول والفعل وعمّا لا يَحْسُن، فكأنه يقوم بوظيفة الحارس الأخلاقي الأمين.

والناظر في كتب اللغة يجد أنّها تكاد تُجمع على أنّ المعاني الرئيسة للعقل هي: التثبّت في الأمر، الإمساك والاستمساك، الامتناع، وأنّ ما عداها من المعاني تندرج تحتها.(ابن منظور،2،845)(الفيروزابادي،1190)(احمد الازهري:1،158)(بن يعقوب:4،85)(الرازي:446)

قال الأصفهاني: "وأصل العقل: الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقال، وعقل الدواء البطنَ، وعقلت المرأة شعرها، وعقل لسانه: كفّه، ومنه قيل للحصن: مَعْقل. وباعتبار عقل البعير قيل: عقلت المقتول: أعطيت ديّته، وقيل أصله أن تُعقل الإبل بفناء ولي الدم، وقيل: بل بعقل الدم أن يسفك، ثمّ سمّيت الدية بأيّ شيء كان عقلاً".(الاصفهاني:354)(بن يعقوب 4،85)

والمتأمّل في المعاني السابقة للعقل يجد أنّ العقل يطلق على ما يحبس الإنسان عن المهالك والشرور القوليّة والفعليّة على حدّ سواء، أمّا ما يحبس الإنسان عن الخير فلا يسمّى عقلاً، ولذلك قال بعضهم: "العقل ضدّ الحمق".(بن يعقوب:4،85)

والأحمق: قليل العقل .(الفيروزابادي:420)

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

والإمساك عن الخير غالباً ما يكون استجابة للهوى وملذات النفس، فلا يُنسب إلى العقل في شيء...

1.2. معنى العقل في الاصطلاح:

إنّ المتأمّل في كتب أهل العلم يجد تبايناً واضحاً في تعريفهم للعقل، حيث عرّفه أصحاب التخصّصات المختلفة كل حسب تخصّصه، فهنالك تعريف للفلاسفة، وتعريف لأهل الكلام، وتعريف للأطباء، وتعريف لأهل الفقه والأصول.....(الايجي: 146)(الجويني:16)(الاشعري:480)

وفي كتابه النافع: "مباحث في العقل"، ناقش أستاذنا الأستاذ الدكتور محمد نعيم ياسين أقوال العلماء في ماهيّة العقل، وخلص إلى القول بأنّ القول الراجح هو أنّ العقل: "أحد غرائز النفس أو قوّة من قواها، تمكنها من إدراك المعاني والحقائق".(نعيم ياسين: ص130) وهناك تعريفات عديدة ذكرها العديد من علماء الإسلام كالإمام الحارث المحاسبي، والإمام الغزالي، والإمام ابن رشد، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام الشاطبي، وغيرهم كثير.

2. المبحث الثاني: أهمية العقل البشري في القرآن الكريم

أهتم الدين الإسلامي بالعقل البشري، وشرفه، وأعلى مكانته، حتى قيل إن الإسلام دين عقل لا دين عاطفة، وتكفي الإشارة إلى أهمية العقل في كتاب الله أنه ذكر في القرآن بصورة صريحة حوالي تسع وأربعون مرة. وأخرى غير صريحة وذلك بذكر الآيات التي تتصل بالعمليات العقلية كالتفكر، والتأمل، والنظر، بأنعام في آيات الله في الأنف والآفاق. والتي لا يمكن حصرها من كثرتها في كتاب الله، وقد ورد في كتاب الله تعالى من الآيات الكريمة التي تؤكد هذه الأهمية وتلك المكانة، قال تعال (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)، كما جعله مناط التكليف لدى الإنسان، لإنه الوسيلة أو الأداة لفهم القرآن، والمسؤول عن كيفية تطبيق تعاليمه وما اشتمل عليه من أحكام، وماجاء به من معان، كما عظم الرسول (ص) العقل وقدس حرمته، وبهذا قد جعل الله سبحانه الإنسان مؤهلا لتلقي الخطاب الإلهى بعقل واع، وهذا العقل هو القاسم المشترك بين جميع المخاطبين، يميز به بين الحق والباطل، والخطأ والصواب في الأفعال والأقوال، ومن هذا جاء المبحث هنا على ثلاثة مطالب:

3. المبحث الثالث: أهمية العقل في القرآن والسنة

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أولاً: مكانة العقل في القرآن: إن أول ما يشير إلى مكانة العقل في القرآن الكريم هو اعتبار حفظه من الضروريات والمقاصد العامة الأساسية في دين الله تعالى، فمن المعلوم أن الضروريات الخمس الكبرى في الإسلام هي: حفظ الدين، والنفس، والعقل. والعرض، والمال، وهي بمثابة المقاصد العليا لهذا الدين الحنيف، والكليات العظمي التي لابد من المحافظة عليها الإستمرار الحياة. ولولا العقل لما شرعت الشرائع، ولما سنت القوانين وقامت الحضارات وامتدت المدنيات، ولولا العقل لما ارتقى الإنسان إلى العلا ولأخلد إلى الأرض، شأنه شأن الدواب التي لا تعقل. لذا فلا غرابة أن تجد القرآن الكريم قد اعتنى بالعقل والتفكير، وأشاد ساميا وجعله نورا يهتدي به الناس في الظلمات، وطالبهم باستعماله والتحاكم إليه، وحمل على كل مقلد عمل عقله ومنعه عن أداء وظيفته. فقد وصف القرآن الكريم من لا يستفيد من عقله وفكره بأنه شر الدواب، قال تعالى (إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ)) . وقد ذم الذين لا يعقلون، قال تعالى (وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ). وقد رفع الإسلام من مكانة العقل حتى أصبح من خصائص الإسلام الأولى، أنه دين يقوم على العقل ويبني الإيمان على التفكير الصائب، والتفكير العميق.(مسلم:ص41) وهناك آيات كثيرة تعطي للعقل دورا عظيما وسلطة كبيرة، فالقول مالم يقم عليه حجة عقلية، لا ينبغي أن يقبل أبدا، ولذا نجد أن القرآن يطلب من الخصوم إقامة البرهان، قال تعالى(قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ). فالآية هذا تدعو المسلمين إلى عدم الانجراف وراء الادعاءات الباطلة غير المستندة على دليل، وتعلمهم أن يطلبوا الدليل والبرهان من صاحب الادعاء. وبذلك يسد القرآن الطريق أمام الانحراف الأعمى وراء التقليد، ويجعل التفكير المنطقي القائم على العقل سائدا في المجتمع (ابن سعدي: 1،288)

كما أن القرآن الكريم قد أقام البرهان والحجة العقلية في مسألة التوحيد، قال تعالى (لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ) وهذا خطاب لأهل العقول أن يتأملوا إلى بناء الكون بإحكام ونظام دون اختلال أو اضطراب. مما يدل على أن الله واحد، لأنه لو كان هناك أكثر من إله لأدى ذلك إلى اختلال في الكون. الاختلاف الإرادتين وتناقضهما، وهذا الاختلاف يؤدي إلى الفساد في بناء الكون، والإخلال بنظامه، وحين لا نرى هذا الفساد في الكون والحياة فإن هذا دليل الوحدانية، ونفي لتعدد الآلهة، فالقرآن في هذه الآية يعرض صورة فنية تخاطب الحس والعقل، والفكر والوجدان، وتلمس النفس، الإقرار عقيدة التوحيد في النفوس .(طوفان: 15-16)

ثانياً: أهمية العقل في السنة النبوية: السنة لغة: هي الطريق أو المنهج): قال تعالى سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا). وتشمل ما كانت حسنة أو سيئة لقول النبي (من سن في

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء). (الصديقي:199)

واصطلاحا: هي قول المعصوم وفعله وتقريره، وتعد السنة النبوية ثاني مصدر تشريعي وعقائدي وأخلاقي، وهي مورد اتفاق جميع المذاهب الإسلامية قاطبة، رغم إختلافهم في شروط الحديث وكيفية تلقيه عن النبي (ص)، فإذا أقل من طريق معتبر حديث يضم قول للنبي (ص) أو فعله أو تقريره يعتبر حجة ". فهي كل ما أثر عن النبي (ص) الذي تأدب بتأديب الوحي وحاملا للقرآن ومفسره، فمن البديهي أنه سلك منهج القرآن الكريم في خطابه للعقل وخاصة الإستدلال به في مجال الإلهيات، وهذا ما تشاهده يوضوح في الأحاديث المروية عنه (ص) منها: ما روي عنه إنه قال: { إن الله تعالى قسم العقل أجزاء فمن كانت فيه كمل عقله ومن لم تك فيه فلا عقل له: المعرفة بالله تعالى وحسن الطاعة وحسن الصبر، إن لكل شيء آلة وعدة، وآلة المؤمن وعدته العقل، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل، ولكل سفر فسطاط يلجئون إليه وفسطاط المسلمين العقل.(الملجسي:ص106–باب 4) كما يروى أنه (ص) مارس النظر العقلي في حياته وذلك حينما أتاه أعرابي من بني فزارة فقال له: (إن امرأتي ولدت غلاما أسود. فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل لك إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر. قال: فهل يكون فيها من أورق؟ قال: إن فيها لورقا. قال: فأنى أتاها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعه عرق. قال: وهذا عسى أن يكون نزعه عرق).(الناصر:1422هـ،565)

ثالثاً: أهمية العقل عند أهل البيت: كان المسلمون في عهد رسول الله (ص) يعيشون في أجواء الوحدة، ولم يكن ثمة خلافات بينهم، ولا مناهج كلامية مختلفة فرقت كلمتهم، فكانت المناقشات الكلامية محدودة ومقتصرة على الجدال مع المشركين وأهل الكتاب، إلا أن هذا الوضع لم يبق كما هو عليه بعد وفاة رسول الله)، فقد بررت على الساحة الفكرية خلافات مذهبية ومناهج كلامية متعددة مال بعضها إلى الجمود على ظواهر الآيات والروايات، والنأي عن البحث والتعقل، وانتهج آخرون إلى اثبات المعارف والأحكام عن طريق العقل، فأهل الحديث هم أهل المنهج الأول والمعتزلة هم أهل المنهج الثاني، وبين هذه الخلافات انتهج ائمة أهل البيت منهجاً وسطاً بعيداً عن هذا وذلك، أساسه لا إفراط ولا تفريط، فأحتل العقل منزلة رفيعة عندهم، إذ حدد الإمام على (ع) أهمية العقل ونطاقه في مجال معرفة الله تعالى، جاء في نهج البلاغة قول أمير المؤمنين (ع): (لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

عن واجب معرفته).(المجلسي: ص304). فنظرة أهل البيت تجاه العقل أنه يمتلك القابلية على معرفة أصول الدين ومبادئه في حقلي الرؤية الكونية والايديولوجية، ولكنه يظل بحاجة ماسة للوحي المعرفة تفصيلات الأحكام الالهيه). فالعقل والنص القرآني بنظر أهل البيت يكمل بعضهما بعضاً، فكما الوحي حجة على العباد كذلك العقل حجة عليهم، قال الإمام الكاظم (ع): (إن الله على الناس حجتين: حجة ظاهرة . وحجة باطنة، أما الظاهرة فالحجج والأنبياء، وأما الباطنة فالعقول، وكما روي في الكافي، قال ابن السكيت(المازندراني: ص66) لأبي الحسن: ... تا الله ما رأيت مثلك قط، فما الحجة على الخلق اليوم ؟ فقال (ع): العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه. قال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب) .(الكليني: ص25)كما يوصف الإمام الصادق (ع)، دور العقل في الإلهيات في حديث طويل: (أن أول الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التي لا ينتفع شئ إلا به، العقل الذي جعله الله زينة لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالفهم، وأنهم مخلوقون، وأنه المدير لهم، وأنهم المديرون، وأنه الباقي وهم القانون .. واستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه، من سمائه وأرضه، وشمسه وقمره، وليلة ونهاره، وبأن له ولهم خالقا ومديرا لم يزل ولا يزول، وعرفوا به الحسن من القبيح، وأن الظلمة في الجهل، وأن النور في العلم، فهذا ما دلهم، عليه العقل).(الريشهري: ص98) وعلى ضوء هذا الاهتمام الكبير من أئمة أهل البيت (ع) بالعقل والتفكير العقلي في الإلهيات، كانت الشيعة الإمامية أقدم المذاهب باستعمال المنهج العقلي في المعارف الإلهية.(المظفر: ص23) وبعد هذا العرض نقول: أن ماورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وفي أحاديث أهل البيت (ع) من مكانة عالية للعقل، والحث على التفكير العقلي، أنما هو أعلان عن فضل هذه الملكة والنعمة الربانية التي لا يستطيع بحال أي أحد الاستغناء عنها، فهي مصدر كل شي، وطريق موصل إلى معرفة سبيل النجاة والهدى .

4 .المبحث الرابع:إشادة القرآن بأهل العقول

ورد ذكر أهل العقول في القرآن الكريم بصفات معينة في مواضع كثيرة، وباسماء عدة منها أولي الألباب، وأولى النهي، وذوي الحجر، وقد تم بيانها تفصيلاً سابقاً، وجاءت جميع هذه المواضع تشيد بأهل العقول، وتمنحهم وتذكر صفاتهم، منها، قال تعالى(ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ). وفسر الاستماع في هذه الآية بمعاني مختلفة، قبل المراد بالإستماع هو الإستجابة لأمر الله تعالى والإمتثال الأوامره، وهم الذين يحسنون الاستماع إلى الحديث أي حديث كان.(الاردبيلي: ص11) وهناك رأي مخالف لهذا الرأي يذكر بأنهم ((لا يتبعون أي قول، بل أحسنه، وذلك لأنهم يتعاملون مع القول الذي يعبر عن الفكرة باهتمام منهم، لا يسمعونه بل يستمعون

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

إليه، وفرق بينهما كبير، فالسماع لا إهتمام فيه يعكس الاستماع))(الرازي: ص370) كما أن هذه الآية عزجت على تعريف أولوا الألباب وبيان خصائصهم فبينت أنهم عباد الله المقربين، الذين يستمعون أي الكلام، وينتخبون الأفضل، والأجود من خلال قوة العقل والإدراك، إذ لا تعصب في أعمالهم، ولا جمود في فكرهم وتفكيرهم، إنهم يبحثون عن الحقيقة وهم متعطشون لها، فأينما وجدوها استقبلوها بصدور رحبة، ليشربوا من تبعها الصافي، وهذه هي علامات المسلم الحقيقي المؤمن الساعي وراء الحق ((وأولئك هم أصحاب العقول السليمة، والفطر المستقيمة، التي لا تطيع الهوى ولا يغلبها وهم، فتختار خير الأمرين في دينها ودنياها))(الرازي: 370) . ولعل أفضل تصير ماجاء به الإمام الكاظم (ع) في وصيته لهشام بن الحكم في وصف العقل وبيان منزلة اهل العقول، قال يا هشام، إن الله سبحانه وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه الكريم، قال تعالى(ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ)... ثم انتقل الإمام (ع) لصفة أخرى من صفات أهل العقل وأولي الألباب فقال: يا هشام إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب وترك الدنيا من الفضل وترك التنوب من الفرض (الريشهري: 1،664) لأن من صفاتهم الورع والتقوى وترك المحرمات والذنوب، وقد ذكرهم القرآن بهذه الصفات كثيرا . منها، قال تعالى (يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) قال تعالى(التعايتكم تارية إلا الله والتركية في البيلي يكولون ما منا يو، كل من وه ربنا ما باكر إلا أننا الألب). وقوله تعالى أيضا، (كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) . ترشدنا هذه الآيات على أن أولو الألباب هم أحق الناس بالحكمة والمعرفة، وهم وهم الذين يضعون الأمور مواضعها بحكمتهم، ويعطون كل ذي حق حقه، فاستدل الإمام (ع) بهذه الآيات الكريمة على مدح العقلاء المتفوقين على غيرهم، فقد منحهم تبارك وتعالى بأحسن الصفات، وأضفى عليهم النعوت السامية، ففي الآية الأولى: منح بعض عباده الحكمة وهي من أعظم المواهب، ومن أجل الصفات، فقد قيل في تعريفها: ((أنها العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته))(الكرماني: 257) . ثم وصف تعالى من منح بها بأنه أوتي خيراً كثيراً . ولا يعلم معنى الحكمة، ولا يفهم القرآن الكريم إلا أولوا الألباب، وفي الآية الثانية: وصف تعالى عباده الكاملين في عقولهم بثلاثة أوصاف وهي: الرسوخ في العلم، الإيمان بالله . العرفان بأن الكل من عند الله، محكماً ومتشابه.(الطبرسي: 2،194) وأيضاً ورد في الأحاديث أن من صفاتهم قضاء حوائج الناس. روي عن الامام الحسن بن علي (ع) قال: (إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها، قيل: يابن رسول الله ومن أهلها؟ قال: الذين قص الله في كتابه وذكرهم فقال: إنما يتذكر أولوا الألباب قال: هم أولوا العقول)(الزرقاني: 2،203) . وبعد ذكر الآيات القرآنية

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

التي ذكرت صفات أهل العقول وعرضها على كتب التفسير، وتأييدها بأحاديث المعصومين (يتضح لنا أن أهل العقول هم أولي الألباب الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه، وخصهم بخصائص عقلية تميزهم عن غيرهم، فهم أصحاب العقول السليمة، والنفوس الصافية التي اهتدت إلى الحق، والتي تخلصت من شوائب الهوى، وهم الذين يتفكرون بايات الله ويتعظون بها، وهم الذين يستمعون إلى القرآن ويتبعونه، لأنهم أهل حكمة وذوي علم، وهم الذين عرفوا الله حق معرفته.

5 .المبحث الخامس: العقل مناط التكليف

أولاً: لا خلاف بين علماء المسلمين أن العقل هو مناط التكليف، والمحور الذي يدور حوله موضوع الثواب والعقاب في الإسلام. كما قرروا أن العقل هو المرتكز والبناء الذي يقوم على أساسه النقل، وقد جعل الإسلام العقل مناط التكليف، لأن الواجبات الشرعية لا تترتب إلا على العقلاء،(المجلسي: 75،304) قال النبي الأكرم (ص): (رفع القلم عن ثلاثة، عن النائم حتى يستيقظ. وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق. وقد يراد بالعقل هنا ((تلك القوة الإدراكية المعيارية في الإنسان التي على أساسها حمل أمانة الخلافة، والتي على أساسها خوطب بالوحي ليتحمله فهما وتطبيقا)). (عبد السلام: 22)والعقل الذي يميز بين الحق والباطل والصواب والخطأ، هو ما يسمى " بالعقل الشرعي " وسمى شرعيا لأنه يعتبر شرط في التكاليف والخطابات الشرعية. وهو الذي ورد ذكره في الحديث عن أبي جعفر الباقر (ع) قال: (لما خلق الله العقل، استنطاقه ثم قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر قادري، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلى منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك أمر، وإياك أنهى وإياك أعاقب، وإياك أشيب)(الترمذي: 250). وقد جاء القرآن الكريم يصور لنا التكليف المنوط بعهدة العقل، إذ جاء من الحث على إعمال العقل، ومن الثناء على من يستعمله . واللوم والتقريع لمن يهمله، الكثير من الآيات القرآنية، ولذلك ذهب كثير من المفكرين الإسلاميين إلى أن أول واجب على الإنسان أن يفتح به حياته الراشدة في نطاق التكليف هو النظر العقلي، لأن ذلك النظر العقلي هو الفاتحة الضرورية لتمثل المنهج الخلافي طيلة الحياة.(المجلسي: 96) وما أبلغ قول الماوردي إذ يقول: ((اعلم بأن لكل فضيلة أنا، ولكل أدب ينبوع، وأن الفضائل وينبوع الأدب هو العقل الذي جعله الله الدين أصلاً وللدنيا عماداً . فأوجب التكليف بكماله، وجعل الدنيا مديرة بأحكامه).(الماوردي:17) وكما أن من أهم أدوار العقل دوره في مجال العقيدة، أن لا يمكن الدخول في الإسلام دخولاً واقعياً إلا من باب العقل، وذلك لأنه دخول مصحوب بالإقرار بالتوحيد والنبوة، " لا إله إلا الله، محمد رسول الله " فالتوحيد يعرف بالعقل، لا بالنقل القرآني، أو غيره، وكذا النبوة لا تعرف إلا بالعقل، كما لا يحتاج إثبات دور العقل في

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

مجال العقيدة إلى كثرة الكلام، لأنه بلغ في البداهة حدا يغنيه عن الإثبات.(الرازي:40،23) وهذا يعنى أن إيمان العبد مشروط بالقناعة العقلية، إذ قبل إن العقائد تعرض ولا تفرض، فالأصل في الإيمان أن يكون عن اقتناع، والاقتناع يعني استعمال العقل، وترك للإنسان الخيار المطلق بين الإيمان أو الكفر احتراماً لعقله، قال تعالى (لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ). وقال تعالى(وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ) ..... ومن جهة تقابلها لم يقبل القرآن الإيمان عن طريق التقليد، بل لابد من معرفة الإدلة وعرضها على العقل ولا يقبل التقليد في الإعتقاد خاصة فيما يشترط لصحة الإسلام والإيمان، بل لابد من الأدلة . لأن هذا العلم الذي أمر الله سبحانه به قال تعال (فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ). فلا يجوز للإنسان أن يعطل عقله، بل عليه إعمال ذهنه وأن يتفكر ويتدبر، قال تعالى(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ) . ويوضح الإمام الكاظم (ع) دور العقل بقوله: (إنما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما أتاهم من العقول في الدنيا).(الانصاري:210،11) يقول القرطبي: ((والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه ((نستنتج أن الإسلام أعلى شان العقل كثيراً عندما جعله منوط بالتكليف، وأنه القاعدة التي على أساسها تقبل الأعمال أو تسقط، أذ أن من شروط أهلية المسلم أن يكون عاقلاً، لأن بالعقل يمكن فهم الوحي وتحقق مقاصده، وبالعقل يمكن التمييز بين الوحي الصحيح المنزل من عند الله تعالى، وبين الخرافات والأساطير التي يدعيها المنافقون، وعن طريق العقل أهتدى الإنسان إلى معرفة ربه، وعرف ما عليه من واجبات،

فعيده وأطاعه، فكان جزاء الدارين على أساس العقل وقوة ادراكه.المازندراني: 1،79)(المجلسي:1،106)

6 .المبحث السادس: خصائص الخطاب العقلي في القرآن الكريم

يتميز الخطاب القرآني في الآيات العقلية بأنه ينبه إلى وظائف العقل وخصائصه، وأن هذه الخصائص تتعدد يتعدد مواطن الخطاب الوارد في شأن العقل وتنوع مناسباته، فنجد من آيات القرآن الكريم ما تخاطب العقل الوازع، بينما تجد أخرى تخاطب العقل المدرك، أي الذي يفهم الأمور ويتصورها، وثالثة تخاطب العقل المتأمل والمتدبر لاستخلاص النتائج والأحكام، مما يدل على أن التفكير في آيات الكون فريضة إسلامية للاستفادة من عطاءات الله تعالى فيه من كل وجه يحقق مصالح الإنسان، وهو ما يرمز إلى قيمة العقل في الإسلام، فالعقل هو القادر على استنباط الأحكام الشرعية العملية من الأدلة

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

النقلية وهي القرآن والسنة والإجماع، وما يسمى بالأدلة العقلية كالقياس والاستحسان والاستصحاب والمصالح المرسلة وغيرها بو على ضوء ذلك يكون العقل هو أحد مصادر التشريع الإسلامي، والعقل مصدر من مصادر المعرفة، كما جاءت أحكام القرآن بكل تشريعاته متوافقة مع العقل البشري وفي هذا المبحث تبين هذه المطالب .

7 .المبحث السابع: توافق الأحكام الإلهية مع العقل البشري

بما أن الأحكام الإلهية منزلة من عند الله تعالى إلى المكلفين وهم البشر ذوي العقول. فينبغي أن يكون البشر واعيين للحكمة من هذه التشريعات ويتفكروا بها، فلا شك أن الهدف من آيات التشريع هي إيقاظ العقل البشري وأن يفهمها حتى يتم تطبيقها بصورة كما يريدها القرآن، وكل هذه الأحكام الإلهية جاءت متوافقة للعقل البشري، ومن هذه الأحكام:

أولاً: القصاص: القصاص لغة: القاف والصاد أصل صحيح يدلان على تتبع الشيء. ومنه تتبع الأثر، قال تعالى (وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ) . أي تتبعي أثره، وقد استعمل في معنى العقوبة لأن المقتص يتبع أثر جناية الجاني .(الشوكاني:65) والقصاص اصطلاحا هو ((أن يعاقب المجرم بمثل فعله، فيقتل كما قتل، ويجرح كما جرح ((قال تمان (وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ). ففي هذه الآية تعليل للقصاص وبيان الحكمة منه). قال الزجاج.: ((إذا علم الرجل أنه إن قتل قتل، أمسك عن القتل، فكان في ذلك حياة للذي هم بقتله ولنفسه لأنه من أجل القصاص أمسك)).(الطباطبائي:14،35)(كلانتر:10،11) والخطاب واضح الأولي الألباب وهم أصحاب العقول النيرة لدعوتهم إلى أقامة الحدود الشرعية والتكاليف الإلهية في المجتمع، وذلك لأن في أقامة هذه الحدود حياة للمجتمع ورخانه، وسعادته، وصفاته، وهذا منوط بهم، لأنهم صفوة المجتمع وخاصته، فإن أقاموا هذه الحدود عم الأمان في المجتمع، لأن من أراد أرتكاب جريمة وضع الشارع لها جداً، خاف من إقامة الحد عليه، فيكون نافيا له عن هذا الجرم . عندها يعم الأمن والأمان. فالقصاص يتعلق بأهم مقصد من مقاصد الشريعة ألا وهو حفظ النفس، لذا فهو حياة للقاتل والمقتول معا، قال تعالى(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ) . إن القرآن الكريم في هذه الآيات حكيم جداً، فقد وازن بين الإستدراج في مطلع الآية والتهديد في خاتمتها، فقد تكلم هنا عن فريضة ثابتة ومفصلة، ومسألة دموية، وجناية تعد من أخطر جنايات النفس، وسبيل هذا أن تضع قوانين تحدد الجريمة، وتقرر لها عاقبة تتسم بالكلمات الجافة لا تعرف الليونة أو

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

المهادنة، لكننا نجد القرآن أستعمل الخطاب العقلي بحيث يتيح لصاحب الحق أن يأخذ حقه، وفي نفس الوقت يهدية للتي هي أقوم)) . فالقرآن ذكرى وعظه الأصحاب العقول الراجحة به وببيانه، والعاقل هو المستفيد من أي القرآن).(المجلسي: 101،370) والخلاصة نقول: أن الله خاطب أهل العقول السليمة في القصاص، لأنهم هم الذين ينظرون إلى المصلحة الحقيقية للأمة، وهم على دراية بأن تشريع القصاص فيه ديمومة حياة آمنه للفرد والمجتمع، وشفاء لما في صدور أولياء المقتول، وبأقامة القصاص تهدأ نفوسهم، لذا جاء الخطاب الأولى مناسباً الألباب. فهم أكثر الناس تطبيقا لأحكام الله تعالى.

ثانياً: تحريم الزواج من المشركين والمشركات –: ولما كانت رابطة النكاح رابطة اتصال ومعاشرة، نهي عن وقوعها مع من يدعون إلى النار خشية أن تؤثر تلك الدعوة في النفس، فإن بين الزوجين مودة والفة يبعثان على إرضاء أحدهما الآخر ولما كانت هذه الدعوة من المشركين شديدة، لأنهم لا يوحدون الله ولا يؤمنون بالرسل، كان الأتفاق بينهم وبين المسلمين في الدين بعيدا جدا لا يجمعهم شيء يتفقون عليه، فلم يبح الله مخالطتهم بالتزوج من كلا الجانبين، قال تمال (وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ). وقد أشارت الآية إلى وجه الحكمة في تحريم زواج المسلمة من الكافر حتى يسلم. قال الألوسي: ((وتقديم الجنة على المغفرة مع قولهم: التخلية أولى بالتقديم على التحلية لرعاية مقابلة النار)).(الطبراني: 1،500) أما أهل الكتاب فهناك اختلاف بين المسلمين في حكم التزويج من الكتابية، ففريق قائل بالجواز مستندين في ذلك على أن بينهم وبين المسلمين اعتقاد وجود الله وانفراده بالخلق، والإيمان بالأنبياء. ويفرق بيننا وبين النصارى الاعتقاد بنبوة عيسى، والإيمان بالنبي محمد (بن عاشور التونسي: 15،337)(البقاعي: 8،415)، ويفرق بيننا وبين اليهود الإيمان بمحمد (ص) وتصديق عيسى، فأباح الله تعالى للمسلم أن يتزوج الكتابية ولم يبح تزوج المسلمة من الكتابي و اعتدادًا بقوة تأثير الرجل على امرأته، فالمسلم يؤمن بأنبياء الكتابية وبصحة دينها قبل النسخ، فيوشك أن يكون ذلك حاليا إياها إلى الإسلام لأنها أضعف منه جانباً وأما الكافر فهو لا يؤمن بدين المسلمة ولا برسولها فيوشك أن يجرها إلى دينه، وفريق آخر قال: ((بالمنع من الكتابية وحكمها في ذلك حكم الكافرة وأنها في عداد المشركات، فلا يوجد شركا أعظم من قولها أن ربها عيسى (ع)، كما يخشى الفتنة من ميل الزوج والأولاد إلى دين أمهم(مجموعة مؤلفين: 345) والخلاصة في ذلك أن العقل السليم يدرك أن جميع التشريعات

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

والقوانين الوضعية جاءت مع مصالح العباد، فهي بذلك تتوافق مع ما يحكم به العقل البشري، فالغاية هي جلب المنفعة ودفع المضرة .

8 .المبحث الثامن: العقل أحد مصادر التشريع

أولا: مصادر التشريع عند أهل السنة: أتفقت المذاهب الأربعة على أن مصادر التشريع في الإسلام أربع، وهي: الكتاب، السنة، الأجماع، القياس، وإلى جانب تلك المصادر المتفق عليها، هناك أدلة أيضاً لكن مختلف فيها، بل حدث فيها نزاع كبير، منها:

المصالح المرسلة، الاستحسان، قول الصحابي، الذرائع، شرع من قبلنا، أما موقف أهل السنة من العقل، قد جعلوا للعقل مكانته اللائقة به، وهم في ذلك وسط بين طرفين .(الهندي: 1،174)

الطرف الأول: من جعل العقل أصلاً كليا أوليا، يستغني بنفسه عن الشرع.

الطرف الثاني: من أعرض عن العقل، وذمه واعيه، وخالف صريحه، وقدح في الدلائل العقلية مطلقاً، وذهب ابن تيمية إلى الوسطية بين هذين الطرفين، قال ((العقل شريط في الفصل العالي الطلاب العلي فقرأن الكرير الي خاصة عوائق. بل هو غريزة في النفس، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كتور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن الفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية: كانت الأقوال والأفعال مع علمه أموراً حيوانية قد يكون فيها محبة وذوق كما قد يحصل للبهيمة . فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة)).(الايجي: 146) فلم يجعلوا العقل دليلاً مجرداً، وإنما أخذوا بالاستدلال، ويراد بالاستدلال: ((أقامه دليل ليس بنص ولا إجماع ولا قياس شرعي))). وهذا موقف الأصوليين منهم، بمعنى أنهم يستدلون بالبراهين العقلية على الحقائق العلمية. والمعارف الدينية، وأيضا صياغة دليل على الأحكام الشرعية الفرعية، قال الغزالي): ((لا أدعى أني أزن بها المعارف الدينية فقط، بل أزن بها أيضا العلوم الحسابية والهندسية والطبية والفقهية والكلامية ((وهذا الاستدلال كثير في القرآن الكريم منه قوله تعالى في الاستدلال على وحدانيته. قال نمال لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ)

ثانياً: أدلة التشريع عند الإمامية: أن منهج الشيعة مستوحاة من منهج أئمة أهل البيت البخاري:304،80)، قال صاحب المراجعات: ((أن رأي الشيعة الإمامية تبع لرأي الأئمة من العترة في الفروع والأصول وسائر ما يؤخذ من الكتاب والسنة، أو ما يتعلق بهما جميع العلوم لا يعولون في شيء من ذلك إلا عليهم، ولا يرجعون فيه إلا إليهم، وقد أخذ الفروع والأصول على كل واحد منهم حجر عضيد من ثقات الشيعة، فنحن الآن من الفروع والأصول على ما كان عليه الأئمة من آل الرسول . إذ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أن أهل البيت ليس كباقي العلماء يتلقون تعليمهم عند المشايخ والمجتهدين أو عن طريق الدراسة والتعلم، بل أنهم أخذوا المعارف والعلوم أما عن طريق النبي (ص)، أو من الإمام الذي قبله، أو عن طريق الإلهام، روي عن الإمام الصادق (ع): (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين . وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (ص) وحديث رسول الله (ص) قول الله عز وجل. وروي عنه (ص) أيضا قال: أن الإمام إذا شاء أن يعلم علم.(البيهقي: 1،308)(ابن حيان: 13،54)

أما موقفهم من العقل وهو محور بحثنا، إذ تعتقد الشيعة الإمامية أن القرآن الحكيم، والسنة المطهرة، والإجماع، والعقل، أدلة التشريع الإسلامي، وأن أي تشريع آخر باطل، لقوله سبحانه: (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ن لم يحكم بما أنزل الله الرلتيك هم الكثيرون) . فلا يحق لفرد أو جماعة أن يشرع قانوناً يخالف هذه الأدلة الأربعة. فقد عرفوا علماء الإمامية الدليل العقلي هو: ((كل حكم للعقل يوجب القطع بالحكم الشرعي، أو كل قضية يتوصل بها إلى العلم القطعي بالحكم الشرعي)) .(شرف الدين: 408) وأنقسم الرأي فيه ما بين الأصوليين والإخباريين من الإمامية:

أ-ا موقف الأصوليين: يرى الأصوليون من الإمامية: أن العقل مصدر الحجج واليه تنتهي، وهو المرجع الوحيد في أصول الدين، وفي بعض الفروع التي لا يمكن للشارع المقدس أن يصدر حكمه فيها كأوامر الطاعة، وذلك للزوم الدور أو التسلسل)).(المجلسي: 2،179) ولم يعتمد الأصوليون على العقل بما أنه مشرع وحاكم، بل بما أنه مدرك ومميز تمييزا كاملا امتاز به الإنسان عن بقية الحيوانات. كما لم يكتفوا بإدراكه للمصلحة والمفسدة فقط، وإن قالوا يتبعية الأحكام لهما إذ يكون وجودهما من قبيل المقتضى، ومن الممكن فقدان شرطه أو وجود مانع). وأول من صرح من الأصوليين بالدليل العقلي الشيخ ابن إدريس، فقال في السرائر: السرائر: ((فإذا فقدت الثلاثة – يعنى الكتاب والسنة والأجماع، فالمعتمد عند المحققين التمسك بدليل العقل فيها.(المظفر: 3،133) وهذا تصريح واضح من ابن أدريس بمكانة العقل، وعده دليلاً رابعاً في التشريع، وإلى مثل هذا ذهب المحقق الحلي) بأن مستند الأحكام هو الكتاب والسنة والإجماع ودليل العقل. ولتوضيح مكانة العقل عندهم أكثر قال صاحب جامع السعادات: ((العقل هو حجة الله الواجب استقالة، والحاكم العدل الذي تطابق أحكامه الواقع، ونفس الأمر، فلا يرد حكمه، ولولاه لما عرف الشرع)). ولذا ورد: ما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل)).(ابن حزم: 1،325)

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ب – موقف الإخباريين: بسبب عدم وضح مفهوم دليل العقل لدى الإخباريين من الإمامية فقد جمدوا على مصدرين فقط من مصادر التشريع، هما: الكتاب والسنة، فقد رفض العلماء الإخباريين، دليل العقل الظني بكل أشكاله وفروعه، كما أنهم رفضوا العمل بالاجتهاد والرأي القائم على الظن، ورفضوا وجود المجتهد المطلق معتمدين في ذلك على أخبار وردت عن الأئمة (الحلي: 640) فأورد عن الإمام الصادق (ع) قوله: (الحكم حكمان: حكم الله عز وجل، وحكم أهل الجاهلية، فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية) (الريشهري:74). وأن وأن الأخباريين لا يعتمدون في أحكامه تعالى على الظن). والخلاصة مما مر:

أن أهل السنة لا يذكرون ما العقل من مكانة واعتبار، لكنهم يقرون بأنه غير مستقل بنفسه استقلالاً تاماً، وأنه لا يستغني عن الوحي، بمعنى أنهم قالو بحدودية العقل.(الانصاري: 337)

وأما الإمامية انقسمت في اعتماد أدلة التشريع إلى مدرستين: الأولى: مدرسة الأصوليين، وهم الذين قالوا إن الأدلة التشريعية أربع: الكتاب والسنة وإجماع الفقهاء والدليل العقلي، كما أنهم يرجعون إلى العقل عند عدم العثور على الحكم من الأدلة الثلاث المتقدمة.

أما المدرسة الأخرى وهم جماعة الإخباريين فقالوا بالكتاب والسنة فقط.(الاسترابادي: 47)

وقال الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب بدء بالخلق: باب في النجوم، وقال قتادة: (“وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ” (الملك،5): خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به” .(العسقلاني: 6،295) وقال الحافظ أيضاً فيما نقله عن ابن بزيزة:(التونسي:5،239) “تهت الشريعة عن الخوض في النجوم، لأنها حدس وتخمين، ليس فيها قطع ولا ظن غالب” .(العسقلاني: 4،127) كما نعى الله تعالى على أمثال هؤلاء فقال: “أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا” (مريم،78). قال ابن عباس في الآية: أنَظر في اللوح المحفوظ”.(الالوسي: 8،446) وفي السنة المطهّرة جاءت الأحاديث تترى تحذّر من جميع الأقاويل والأفاعيل التي تتعارض مع عقيدتنا بالغيب، وكذا عقيدة الإعتماد على الله وحده في حصول ما ينفع العبد ويدفع عنه ما يضرّه في دينه ودنياه. قال صلى الله عليه وسلم: “لا عدوى ولا طيرة”.(البخاري:1127) وقال: “إنّ الرقى والتمائم والتولة شرك” .(الحاكم:4،241) وقال: “هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأمّا من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأمّا من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب” (58).البخاري:172)(ابو داود:428)(مالك:121)(النسائي:1،563)

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

والأحاديث في مثل هذه المعنى كثيرة...

الخاتمة

بعد هذا التطواف في جنبات الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، نخلص إلى أهم نتائج البحث، وهي:

1- العقل نعمة عظيمة من نعم الله تعالى أنعم بها على الإنسان، إذ من خلاله يتعرّف الإنسان على أسرار خلق الله تعالى وعظيم صنعه، وبه يتوصّل إلى تصديق الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تعالى لهدايته وسعادته، وذلك أنّ الإنسان لا يستطيع أن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبيّن إلا بالعقل، فالعقل كالأساس والشرع كالبناء، أو الشرع كالشمس والعقل كالعين، فإذا فتحت رأت الشمس، وإلا فلا.

2- للعقل مكانة سامية في دين الله تعالى، ومنزلة رفيعة، ومع ذلك فإنّ له حدوداً لا يجوز تخطيها أو تجاوزها، لأنه إن فعل خبط خبْط عشواء، فهو في حاجة دائمة للشرع، لأنه تابع له، ومن شأن الشرع أن يعصمه.

ومن الأمور التي لا يجوز للعقل أن يخوض فيها: الحكم في المباحث الإلهية التي لا تعلم إلا بدلالة الوحي لكونه من الغيب المحض. أمّا المباحث الإلهيّة التي يمكن الاستدلال عليها بالأدلة العقليّة، كوجود الله تعالى ــ مثلاً ــ فهذه المباحث داخلة ضمن دائرة عمل العقل، وضابط الجواز والمنع في هذه المسألة هو أنّ المنع لا يكون إلا إذا كانت الدلالة عقليّة خالصة، أمّا الجواز فما يستدل عليه بالأدلة العقلية لا بدّ وأن يرد الوحي بما يدل عليه.

3- أنّ من رفض الأحاديث الواردة في مكانة العقل وصرّح بأنه لم يحفظ حديثاً صحيحاً في فضل العقل، ما كان منه هذا السلوك إلا ردّاً على المعتزلة الذين غالوا في تحكيم العقل، حتى وثقوا بقدرته على إدراك الأشياء، فالحقّ بين طرفي الإفراط والتفريط. والله أعلم. والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر

[1] القرآن الكريم.

[2] ابن فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة (المحقق: عبد السلام محمد هارون). دار الفكر.

[3] ابن منظور. (ت. 395هـ). لسان العرب (الطبعة رقم غير مذكورة، ج. 2، ص. 845-848). دار النشر غير مذكورة.

[4] الفيروز أبادي. (ت. 817هـ). القاموس المحيط (الطبعة رقم غير مذكورة، ص. 1190-1199). دار النشر غير مذكورة.

[5] ابن أحمد الأزهري. (ت. 370هـ). تهذيب اللغة (الطبعة رقم غير مذكورة، ج. 1، ص. 158-162). دار النشر غير مذكورة.

[6] ابن يعقوب. (ت. 326هـ). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (الطبعة رقم غير مذكورة، ج. 4، ص. 85). دار النشر غير مذكورة.

[7] أبو بكر الرازي. (ت. 370هـ). مختار الصحاح (الطبعة رقم غير مذكورة، ص. 446-448). دار النشر غير مذكورة.

[8] الأصفهاني. (ت. 502هـ). معجم مفردات ألفاظ القرآن (الطبعة رقم غير مذكورة، ص. 354). دار النشر غير مذكورة.

[9] الفيروزابادي. (ت. 817هـ). القاموس المحيط (الطبعة رقم غير مذكورة، ص. 420). دار الحديث.

[10] الإيجي. (ت. 756هـ). المواقف في علم الكلام (الطبعة رقم غير مذكورة، ص. 146). دار النشر غير مذكورة.

[11] الجويني. (ت. 478هـ). الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (الطبعة رقم غير مذكورة، ص. 16). دار النشر غير مذكورة.

[12] الأشعري. (ت. 324هـ). مقالات الإسلاميين (الطبعة رقم غير مذكورة، ص. 480). دار النشر غير مذكورة.

[13] ابن أحمد. (ت. 415هـ). المغني في أبواب التوحيد والعدل (الطبعة رقم غير مذكورة، ج. 11، ص. 375). دار النشر غير مذكورة.

[14] محمد الزركشي. (ت. 794هـ). البحر المحيط في أصول الفقه (الطبعة رقم غير مذكورة، ج. 1، ص. 85). دار النشر غير مذكورة.

[15] الغزالي. (ت. 505هـ). المنخول من تعليقات الأصول (الطبعة رقم غير مذكورة، ص. 44). دار النشر غير مذكورة.

[16] البغدادي. (ت. 429هـ). الكتاب المعتبر في الحكمة (الطبعة رقم غير مذكورة، ج. 2، ص. 356). دار النشر غير مذكورة.

[17] ابن تيمية. (ت. 728هـ). مجموع فتاوى ابن تيمية (الطبعة رقم غير مذكورة، ج. 9، ص. 286–287). دار النشر غير مذكورة.

[18] عبد الكريم. (ت. 1150هـ). المعارف العقلية (الطبعة رقم غير مذكورة، ص. 29–36). دار النشر غير مذكورة.

[19] نعيم ياسين. (الطبعة الأولى). مباحث في العقل. دار النفائس.

[20] مسلم. (الطبعة رقم غير مذكورة). صحيح مسلم (برقم 17، كتاب الإيمان، ص. 41). دار النشر غير مذكورة.

[21] الترمذي. (الطبعة رقم غير مذكورة). الجامع الصحيح (برقم 2011، كتاب البر والصلة، ص. 334). دار النشر غير مذكورة.

[22] ابن ماجه. (الطبعة رقم غير مذكورة). السنن (برقم 4188، كتاب الزهد، ص. 452). دار النشر غير مذكورة.

[23] البيهقي. (الطبعة رقم غير مذكورة). شعب الإيمان (برقم 8966، ج. 6، ص. 2980). دار النشر غير مذكورة.

[24] البخاري. (الطبعة رقم غير مذكورة). الأدب المفرد (برقم 585، ج. 1، ص. 205). دار النشر غير مذكورة.

[25] الطبراني. (الطبعة رقم غير مذكورة). المعجم الأوسط (برقم 2374، ج. 2، ص. 25). دار النشر غير مذكورة